رسائل

. خـديجـة السـعـدي * .

انتظرتُ مجيئكَ طويلاً.
سبحتُ مع النجوم والخرافِ في السماء؛
ملأتُ الأوراقَ على الطاولة
بكلماتٍ ورسومٍ رديئة.
ومع بزوغِ الفجر
صدحتْ عصافيرُ شجرةِ الجيران
ومآذنُ المدينةِ الكثيرة...
لكنّكَ لم تأتِ.
...
سأبحثُ عنكَ في قَطَرات المطر
إذ تعْزفُ على نافذتي أغنيةَ الشتاء؛
في همسِ الأشجار وهي تحكي
أسرارَها الخريفيّة؛
في ظلالِ المارّة على الرصيف...
أبحثُ عنكَ في الحلمِ واليقظة.
...
تغيبُ لياليَ طِوالاً
لكنّي أعرف أنكَ ستعود
في نغمةٍ أو نسمة،
في التفاتةِ غريبٍ أو غيمةٍ عابرة...
إلى لقاءٍ قريب!
...
على التلّةِ تلك
وكلُّ التلال الأخرى المجاورة،
كلُّ الأشجار وأوراقها المصفرّة
حَزنتْ لأنكَ لم تأتِ.
العشبُ والحصى والممرّاتُ السرّية...
انتظرناكَ جميعًا ولم تأتِ.
...
كلّما حاولتُ النسيانَ
أحسستُ بيدكَ تداعبُ شَعري
وحرارةِ أنفاسكَ اللاهثةِ على رقبتي.
مرّةً أخرى تعتذرُ،
ومرةً أخرى أغفرُ لك.
...
تجيء كما يجيء الصيفُ،
متأخّرًا وشديدَ الحرارة.
وما إنْ تصل

* - شاعرة وصحفيّة عراقيّة. صدرتْ لها مجموعةٌ شعريّةٌ بعنوان **ازهار الفجر**، ومجموعةٌ قصصيّةٌ بعنوان **قصص صغيرة**.

حتى تتفتّحَ براعمي،
وتبدأ عصافيرُ أحلامي بالزقزقة.
...
أتقافزُ حولَكَ كطفلةٍ حين تصل.
كأنّي لم أكبرْ قطّ؛
كأنّ الشَعرَ الأبيضَ في رأسي
ضفائرُ العيدِ الملوّنة.
بلهفةٍ أحدّثكَ عن كلِّ ما فاتكَ،
وأنتَ هناك تحدّق من وراء زجاجِ نافذتك
المغطّى بالضباب
باتجاهِ الجنوب.
...
حين أفكّر فيك
أحسُّ بالأرض تتأرجح بي؛
وكلّما نطق أحدُهم باسمك
تفتّحتْ بسمةٌ على شفتيّ
لأسقيَها بدموعٍ تتحدّى الانحباس.
...
بيني وبينكَ
أعوامٌ من الهمسِ والأحلام
والكلماتِ التي لم تُقلْ.
...
لم أغضبْ منكَ يومَها:
ربّما كنتَ محقًّا،
ربّما كنتُ... لا يَهمُّ.
فما يَرْبطنا حبلٌ سرّيٌّ
لم تقطعْه الممرّضةُ،
أو يمزّقْه الزمن.
...
أغنّي للأزهارِ والأشجار،
أستحمُّ في الشمس
وأنا أشربُ قهوةً باردةً على الشرفة
وأراقب انشغالَ المدينة عنّي...
كم أحبّك!
...
أسمّي النجومَ بأسماءِ البشر
وأراقبُ نجمَكَ بينها كلَّ ليلة.
لكنّ السماءَ كانت غائمةً البارحة
ولم أرَك.
...

تهيم روحي في الظلمة
تبحث عن نجمك:
وحدتي طريقي إليك.
...
ظمآنةٌ أنا، لا أرتوي
والحلمُ زائري الوحيد.
...
أُحمّل الريحَ سلامي إليكَ
فيعود الصدى حروفًا مبعثرة.
أعرف أنّ الطريقَ إليك متاهةٌ
أو أمنية.
أعرف أنّ كلَّ خرائطِ العالم
ووصفاتِ العشق
لن توصلني.
لكنّي، رغم كلِّ ذلك، أحبّك.
...
أرى وجهَكَ في الماءِ وفي المرآة؛
كم تشْبهني!
أراه في الغيوم والأزهار والتلفاز...
كم تشبه كلَّ الأشياء!
...
لا أريد سوى أن تكونَ معي،
في السرير أو على الشرفة،
حين يطْلعُ الفجر.
...
لماذا تركتَ لي نظراتِكَ
تلاحقني في زوايا البيت؟
لماذا لم تأخذْ كلَّ أشلائِكَ
وما تبقّى من أمل؟
...
بكلِّ صمتِ العارفين أحبّك.
وبكلّ شقاءِ الصمتِ أعرف
أنّكَ تحبّني أيضًا.
ويَعرف الجميعُ أنّكَ مُلهِمي
وسرُّ ضحكتي وبكائي.
ما لا يعرفونهُ هو أنّكَ،
أيضًا، حُلمي الأزليّ
الذي أجترُّه بصمت.
...
أتساءل إنْ كنتَ، أنتَ أيضًا،
تجلس في عتمة وحدتك
تنتظر عودتي.
...

غداً أرسم لكَ باقة وردٍ وأنْظم قصيدة؛

غداً أحدّثكَ عن أحلامي وخططِ المستقبل؛

غداً سأحبُّك وأحبُّك.

أما الآن، فاعذرْني...

عليّ أن أطبخَ وأغسلَ الصحون!

...

على أغصانِكَ اخضرّتْ أوراقي وتساقطتْ؛

على عشبِ صدركَ جفّت دموعي كقطراتِ الندى؛

عنكَ كتبتُ أجملَ القصائد وأردأها.

كلَّ عامٍ وأنتَ حبيبي.

...

لم تكتملْ قصّتي بعدُ،

ولا تزال اللوحةُ ناقصة.

فكلّما اقتربْنا من النهاية عُدنا من جديد.

...

أُرسلُ لكَ قبلةً قبل أن أنام؛

أُغمضُ عينيّ وأُحسُّ بشفتيك

تطْبعان قبلةً على خديّ الأيسر.

هكذا يبدأُ الحلمُ كلَّ ليلة.

بدل الخاتمة

في صمت ليله الطويل، يبسط رسائلَها على سريره المفرد. يقرأها واحدةً واحدةً، قصيدةً قصيدةً، إلى أن تتساقط من عينيه المحمرّتين دمعتان دافئتان. يعيد الرسائلَ بترتيبٍ جديدٍ إلى ظرفها المهترئ، ويقبّل الظرف، ثم يعيده بوقار المؤمن إلى درج الذكريات. قبل أن يبدأ الحلم، يرفرف جناحا حمامة ويشتغل محرّكُ سيّارة، ليبدأ يومٌ آخرُ طويل.

العراق